**المستوى: سنة ثالثة**

**التخصص: اتصال + اعلام**

**المقياس: نظريات الاتصال والاعلام**

## المحور الاول: مفاهيم أولية:

### 1- مفهوم النظرية:

تصنف النظرية العلمية على انها جوهر المعرفة عند الباحثين والعلماء، وسبب هذه المكانة هي قدرتها على تقديم تفسير شامل لظاهرة من ظواهر الطبيعة مؤيده بمجموعة كبيرة من الأدلة، وعرفت بعدد من المعاني المختلفة باختلاف الفروع التي تستخدم بها هذه الكلمة.

بشكل عام تكون النظرية نوعاً من التفسير لشرح كيفية حدوث ظاهرة طبيعية بشرط تحقق حدوث هذه الظاهرة وعدم وجود نزاع في حدوثها، تأتي النظرية لتشرح آلية حدوث هذه الظواهر وتكون بشكل عام عرضة للصواب أو الخطأ، لكن التماسك المنطقي والرياضي للنظرية ثم شرحها لأكبر عدد ممكن من النتائج التجريبية يدعمها ويعطيها تأكيداً أكثر فأكثر.

قدمت تعاريف كثيرة تشرح مفهوم النظرية وهذه بعضها:

- هي وجهة نظر ولكن مبنية على أساس علمي تفسر ما يحدث أو تشرح العلاقة بين الأشياء، ويمكن أن تتخطى ذلك إلى توقع ما الذي يمكن أن يحدث إذا اجتمعت عناصر معينة.
- تشير النظرية إلى نموذج مقترح لشرح ظاهرة أو ظواهر معينة بإمكانها التنبؤ بإحداث مستقبلية ويمكن نقدها، ينتج من ذلك أنه في المجال العلمي النظرية والحقيقة ليسا شيئين متضادين.
- هي عبارة عن مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما عن طريق تحديد العلاقات المختلفة بين المتغيرات الخاصة بتلك الظاهرة، وهذا بهدف تفسير تلك الظاهرة والتنبؤ بها مستقبلا .
- تزداد النظرية صحة عندما تقدم تنبؤات بشأن ظواهر غير مثبتة بعد ، ثم تأتي التجارب لإثباتها.
- النظرية عبارة عن إطار تصوري فكري يفسر مجموعة من الخصائص والحقائق العلمية ويضعها في نسق علمي مترابط.
- كما تعرف بأنها مجموعة من القضايا مستندة إلى أفكار محددة تماما ومتسقة مع بعضها البعض وقائمة على بعض الافتراضات العلمية التي اثبت المنهج الاستقرائي ثباتها.
- وتعرف النظرية أيضا بأنها تفسير لظاهرة معينة من خلال نسق استنباطي، والنظرية هي مجموعة من القضايا التي ترتبط مع بعضها البعض بطريقة علمية ومنظمة ومن خلال هذا الرابط، فالنظرية تعمل على تحديد العلاقات السببية بين المتغيرات بهدف تفسير الظواهر والتنبؤ بها [1].
- إن هدف العلم هو الوصول إلي تحقيق ثلاثة أشياء رئيسية تتعلق بمادته أو موضوعه، الوصف والتفسير والتنبؤ (أي وصف الظاهرة وتفسيرها والتنبؤ بما يترتب عليها) وهذه العمليات الثلاث تفسر بوضوح السبب في كون "النظرية" هي المدخل للعلم، فعملية الوصف تعني ببساطة ملاحظة الظاهرة وتسجيل هذه الملاحظات بانتظام, ولكن هذا يتطلب أن يكون لدي الملاحظ أساساً نظرياً أو منطقياً يستند عليه, وهنا يأتي دور النظرية, فعملية التفسير إنما تتم علي أساس نظري, وهدف النظرية هو تفسير

العلاقات المتداخلة للظاهرة، والهدف من هذه العملية بالطبع هو نفس الهدف الأسمى للعلم وهو التنبؤ, أي توقع الحدث أو ما يترتب عليه في المستقبل.[2]

- هي مجموعة من المفاهيم والأفكار والفرضيات التي تبحث في التفسير والتنبؤ والتحكم في المتغيرات المختلفة قصد فهم الظاهرة التي هي محل الدراسة [3].

- النظرية هي مجموعة من القضايا التي تشكل فيما بينها نسقًا معرفيًّا، يقود إلى بناء عدد من الاستنتاجات، تَدعمها معطيات الملاحظة والمشاهدة، ويمكن القول بناءً على ذلك:

إن النظرية تشتمل على بُعدين أساسين؛ هما:

- البعد المعرفي ويتمثل في القضايا المعرفية المترابطة التي تطرحها النظرية.
- البعد المنهجي، ويتمثل في الطرق التي يتعين توظيفها في تحليل القضايا التي تتناولها النظرية، وهناك عدد من الشروط التي يجب أن تتوفر في القضايا التي تطرحها النظرية:

- تحديد ووضوح وتبلور مفاهيم النظرية.
- ترابط واتساق القضايا التي تطرحها النظرية مع قابليتها للتحقيق.
- صدق قضايا النظرية مالم تظهر معطيات تناقضها.
- تدرج القضايا على نحو يمكن التوصل به إلى تعميمات أو الخروج ببعض الاستنباطات.

الهدف من دراسة النظريات انها تعمل على توضيح المعنى من خلال مساعدتنا على تركيب وبناء النتائج التجريبية المسبقة داخل إطار نظري، والتوفيق بين النتائج المتناقضة من خلال اكتشاف العوامل المحتملة التي من شأنها أن تؤثر على العلاقة بين بنيتين في الدراسة، كما يمكنها بناء المنطق الرئيسي لحدوث الظواهر من خلال توضيح الدوافع والنتائج الرئيسية للظاهرة وسبب حدوثها، والعمليات الرئيسية المسؤولة عن وقوع تلك الظاهرة وبالتالي المساهمة في بناء المعرفة المتراكمة من خلال سد الفجوات بين النظريات الأخرى وإعادة تقييم النظريات الراهنة بشكل جديد، وتوفير الإرشاد للبحث المستقبلي من خلال المساعدة على تحديد البنيات والعلاقات التي تكون بحاجة للمزيد من البحث[4].

## 2- مفهوم نظرية الإعلام والاتصال:

هي محصلة دراسات وأبحاث ومشاهدات وصلت إلى مرحلة من مراحل التطور، وضعت في إطار نظري وعلمي وتحاول تفسيره، ومن هذا المنطلق فإن الباحثين عرفوا النظريات الإعلامية بأنها خلاصة نتائج الباحثين والدارسين للاتصال الإنساني بهدف تفسير الظاهرة الإعلامية ومحاولة التحكم بها والتنبؤ بتطبيقاتها وأثرها في المجتمع[5]

كما تعرف على أنها محاولة للربط بين وسائل الإعلام والتأثير والجمهور، وذلك من خلال معرفة الأسباب التي تجعل لكل وسيلة خصائص معينة وتأثير معين تختلف درجته وطريقة حدوثه بطريقة مختلفة من وسيلة لوسيلة، أو هي محاولة لتفسير معنى تأثير وسائل الإعلام وكيف يحدث؟ وما هي علاقة هذا التأثير بارتباط الجمهور بوسائل الإعلام؟ وعلاقة هذا التأثير بخصائص الجمهور العملية والاجتماعية والنفسية، والنظرية الإعلامية أيضا هي محاولة لفهم أنواع الجماهير ومدى نشاطها وعلاقتها بوسائل الإعلام في محاولة لربط هذه المتغيرات بحدوث تأثير وسائل الإعلام [6].

يشترط الباحثون اشتمال نظرية الإعلام والاتصال على بعض المبادئ حتى يتم قبولها، أهمها:

- وجود تصور نظري، فالنظرية لا بد أن تحتوي على مفاهيم (تعريفات) محددة تحديدا دقيقا في إطار الموضوعات التي تتناولها النظرية، فعلينا أن نعرف ماذا تعني بالجمهور، الوسائل، التأثير، الإقناع،

التدفق الإعلامي، التقمص الوجداني، حارس البوابة... ؟، وهكذا في المفاهيم التي تحتويها نظريات الإعلام والاتصال.

ـ اشتمال النظرية على مجموعة من القضايا بحيث تقرر كل قضية علاقة بين متغيرين أو أكثر.

ـ ترتيب القضايا التي تشكل النظرية في نسق استنباطي مرتب، وان تتسم بالاتساق المنطقي (المقدمات ـ التحليل ـ النتائج ).

ـ أن تقوم بتفسير الحقائق والوقائع التي اشتملت عليها، فكل نظرية تحتوي على وقائع وحقائقتختلف عن النظريات الأخرى [7] .

## 3- مفهوم النموذج:

كلمة (نموذج) معرَّبة، من كلمة (نموذه) الفارسية، وجمعها نموذجات ونماذج، ونموذج البناء نسخة مُبسَّطة مجردة من بناء، ومن ثم فهو يحتوي على العناصر الأساسية للبناء، ولكنه يختلف عن الأصل، وقد استُعيرت هذه الكلمة في اللغة العربية وتُستخدَم للإشارة إلى» النموذج«، بوصفه أداة تحليلية ونسقًا كامنًا، يدرك الناس من خلاله واقعهم، ويتعاملون معه ويصوغونه.

النموذج بنية فكرية تصورية، يُجرِّدها العقل الإنساني من كمٍّ هائل من العلاقات والتفاصيل، فيختار بعضها ثم يُرتبها ترتيبًا خاصًّا، أو يُنسقها تنسيقًا خاصًّا؛ بحيث تصبح مترابطة بعضها ببعض، ترابطًا يتميَّز بالاعتماد المتبادل وتشكل وَحدة متماسكة يُقال لها أحيانًا عضوية.

طريقة التنسيق والترتيب هي التي تعطي النموذج هويته المحددة، وفرديته وتفرُّده، ويتصور صاحب النموذج أن العلاقة بين عناصره تُماثل العلاقة الموجودة بين عناصر الواقع؛ ولذا فهو يرى أنه يشكل الإطار الكلي الذي يُفسِّر تفاصيل الواقع وعلاقاته، وقد يتصوَّر البعض أن النموذج يُشاكل الواقع، ولكنه في حقيقة الأمر لا يتطابق معه، فهناك فرق بين النموذج من ناحية والمعلومات والحقائق من ناحية أخرى.

عن علاقة النموذج بالنظرية يرى بعض الباحثين أن النموذج إطار ذهني مجرد يتكون من مجموعة مفاهيم متشابكة ومتفاعلة، له القدرة على تفسير اتجاهات يمكن تعميمها، وعلاقات متبادلة تسود في العالم الواقعي، ومن هنا يرون أن النموذج مرادف للنظرية، فهو إطار تصوري، وخطة نظرية؛ حيث يبدأ بناء النموذج بجمع المفاهيم المرتبطة ذات الأهمية في الموقف المراد بحثه، وينتهي عندما ينتج نظامًا أو نموذجًا ذا أفكار متصلة، يحسن فهم الموقف.

أما أهمية النموذج بالنسبة لعلوم الإعلام والاتصال فان العلم ونظرياته في فترة زمنية معينة يكون أنموذجا متماسكا حيث نجد ارتباط ووحدة عضوية بين التصورات والمفاهيم الداخلية في إطار الأنموذج، ويظل الأنموذج قائما إلى أن يأتي باحثون ومفكرون آخرون بنظريات أخرى جديدة، أو كشف علمي هام، يترتب عليه أن ينظر العلماء لنظريات العلم السائدة نظرة مختلفة، ومن ثمة يختلف التفسير الذي يترتب عليه وبالضرورة تغير جذري للمفاهيم العلمية التي كان المفكرون يعتقدون بها من خلال الأنموذج القديم، ولا يمكن لآي جماعة علمية أن تقوم بممارسة عملها الفكري بدون أن تملك رصيدا فطريا من المعتقدات، أو المكونات غير الظاهرة في بنية التفكير الخاص بهم [11].

## 4- مفهوم المقاربــة :

مصطلح المقاربة مُشتق من مادة ق.ر.ب، وقاربَ الشيءَ أي دنا منه واقترب، وقارب الخطوَ أي داناه، وقارب النهاية أي أوشك أن ينتهي، والمقاربة جاءتْ على وزن مُفاعلة وقاربَ على وزن فاعلَ، وفي ذلك عدة معان مفيدة في السياق البحثي التحليلي التفسيري، ومنها: المشاركة عبر التعدي للشيء الذي تتحدث عنه، وهذا يعني أن الباحث حين يقول: قاربتُ، فهو يُشرك معه الموضوعَ الذي يُقاربه أو يسعى لمقاربته، وفي هذا تفاعل بين العارف والمعروف (الذات والموضوع).

من معاني هذا الوزن أيضاً الدلالة على التكثير، فقاربتُ تتضمن معنى القيام بعمل المقاربة كثيراً أو طويلاً، وهنا نظفر بمعنى الجهد والاجتهاد والحرص في أعمال المقاربة للموضوع الذي نشتغل عليه، وهي معانٍ لطيفة مطلوبة في النشاط البحثي الجيد.، وفي هذا تأكيد على أن المقاربة المتوخاة تتأثر بعوامل عديدة، ومنها طبيعة الموضوع المبحوث وطبيعة نص المقاربة وهدفه والشريحة المستهدفة ونحو ذلك، والإشارة الصريحة للمقاربة على درجة كبيرة من الأهمية في كثير من السياقات، وبالذات السياقات البحثية التعليمية، حيث تؤكد للمقيّم أو المحكّم أن ثمة وعياً بالمقاربة المنهجية المختارة، من جهة إطارها المنهجي وتطبيقها العملي.

التحليل اللغوي للمصطلح مِهادُ للدلالة المفاهيمية، الذي يعكس الدلالة الخاصة التي ارتضتها الجماعة العلمية للمصطلح، فمصطلح المقاربة يومئ إلى اختيار أو بلورة مخطط أو إطار منهجي محدد لتناول موضوع ما، وهذا يعني أن المقاربة تشير إلى أن ثمة مخططات منهجية عديدة ممكنة لمعالجة الموضوع ومقاربته، وفي هذا تصوير لمهارة بحثية محورية، وهي القدرة على بلورة مخطط منهجي يلاءم الموضوع الذي يسعى الباحث لمقاربته.

الإطار أو المخطط المنهجي يحكم تفكير الباحث ويوجهه أثناء تلبسه بالمقاربة، أي أثناء السعي للإجابة عن الأسئلة الرئيسة في الموضوع أو الظاهرة أو النص الذي يشتغل على مقاربته، ما سبق، يجعلنا نقول بأن المقاربة هي بلورة منهجية ملائمة لتناول موضوع أو ظاهرة أو نص من شأنها إظفار الباحث أو المقارب بإجابات جيدة مقنعة، تتأسس على الأدلة والشواهد الداعمة للنتائج أو الآراء التي خلُص إليها الباحث، مما يعني وجود تسويغ منهجي لكل خطوة أو عملية منهجية قام بها الباحث. [12].

تعد المقاربة البحثية جزءا مهما من عملية البحث العلمي كونها توجه البحث نحو الهدف من الموضوع، وعملية تبني مقاربة هي خطوة ضرورية لأن أي موضوع إلا وله منطلق فكري يفسر من خلاله، فمهمة الباحث تظهر في عملية اختيار أي المقاربات تصلح لموضوع بحثه، وهذا بدوره يعتمد على الدراية الواسعة بكل المقاربات، فأهميتها إذا تكمن في ربط أجزاء البحث بعضها ببعض في نسق فكري متكامل بداية من عنوان البحث وحتى مرحلة تحليل النتائج.

تتفرع المقاربة عن النظرية، بحيث ان النظرية تقدم افتراضات عامة (قدرتها العالية على التجريد)، لكن المقاربة هي عندما ينشأ حقل دراسي فرعي يقوم إتباع النظرية من دارسين ومنظرين بإنشاء مقاربات جزئية تخص ذاك الحقل الدراسي، تتميز النظرية بأنها معالجة علمية للظاهرة المراد تفسيرها بينما المقاربة هي الكيفية المعتمدة في البحث، فالمقاربة هي أطروحات نظرية لا ترقى إلى درجة النظرية العلمية فهي مجرد مرحلة من مراحل النظرية بحيث أنها الأساس النظري الذي يعالج فيه الباحث لبلوغ هدف بحثه، فالمقاربة ليس لها قدرة على التفسير والتنبؤ مثل النظرية إلا أنها تعد ضرورية لبناء النظريات باعتبارها أداة توجيه وإرشاد يساعد الباحث على اختبار الفروض .

**المحور الثاني:**

**ـ مراحل التطور التاريخي لدراسات الاتصال:**

انطلق التراكم الميداني لاستخدامات وسائل الإعلام وتأثيرها المباشر على الجمهور في الولايات المتحدة الأميركية مع إدوارد بيرنيز (Edward Bernays) (1917)، وتأسيس لجنة كريل ( Creel commission) لتوجيه الرأي العام الأميركي ودفعه إلى الانخراط في الحرب الكبرى ضد ألمانيا، مرورًا بهارولد لاسويل (Harold Lasswell) (1935) الذي حاول وضع أسس نظرية وميدانية لاستخدامات وسائل الإعلام في ميدان العلوم السياسية، وصولًا إلى كلود شانون ( Claude Shannon) الذي أرسى ميدان الاختصاص من خلال إطلاقه النموذج الأول (براديغم) للاتصال عام 1948، ترافق هذا التطور النظري مع التطور الميداني التكنولوجي مواكبًا تعميم الإذاعة في عشرينات القرن الماضي، ثم انطلاقة السينما وتاليًا التليفزيون، وصولًا إلى التقنيات الرقمية وتطورها المتنوع الذي شمل التقنيات القديمة وحملها إلى ميادين جديدة، مثل المحطات الفضائية وكل ما حملته الإنترنت من فرص هائلة وتغييرات في مختلف البنى الاجتماعية[13] .

نشأت بحوث الإعلام المبكرة في أقسام الاجتماع وعلم النفس في كثير من الجامعات، وافتقد الباحثون في هذه التخصصات الخلفية الإعلامية بسبب حداثة ظهور علم الإعلام، بينما تغير هذا الوضع بعد ذلك بنمو أقسام الإعلام وظهور باحثين متخصصين في مجال الإعلام بعد ذلك، وبدأت تظهر بعض الآراء التي تشجع على ضرورة مشاركة الباحثين في مجال الإعلام مع زملائهم في مجال علم النفس والاجتماع والسياسة في إجراء بحوث مشتركة، وفي السنوات القليلة الماضية اتجهت بحوث الإعلام منحا جديدا عندما ركزت على الجوانب النفسية والاجتماعية لوسائل الإعلام، حيث اتجه علم النفس لدراسة الردود العاطفية لبرامج التليفزيون والإعلانات وموسيقى محطات الراديو، أيضا بدأ استخدام الكمبيوتر في بحوث الإعلام لتحليل البيانات والمعلومات.

بشكل عام يقسم الدارسون البحث في مجال الاتصال تاريخيا حسب المراحل الآتية:

ـ المرحلة الأولى: تمتد ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، حيث كان البحث الإعلامي مركزا حول مسألة قدرة وسائل الإعلام على التلاعب بالجمهور، تصدرت هذه المرحلة الفكرة القائلة بالقدرة المطلقة لوسائل الإعلام، وخاصة الراديو الذي ظهر كأداة قادرة على تشكيل الرأي العام السياسي وفق ما تمليه وسائل الإعلام، وان الرسالة الإعلامية ذات تأثير واحد بالنسبة لجميع الأفراد الذين يستقبلونها وهم لابد يستجيبون بطريقة واحدة ومباشرة لما تطرحه.

هذه الخلفية شجعت على تكوين فكرة مبسطة حول وسائل الإعلام كأجهزة دعائية تتلاعب بعقول الأفراد العزل، حيث تطلق رصاصات كلامية لتخترق عمق ضحايا سلبيين، ولعل من أهم العوامل التي عززت رواج أفكار هذا التوجه هو طبيعة وخصائص المجتمع الجماهيري الذي بدأ يميز البلدان الغربية وبصفة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية مع مطلع القرن العشرين،وتنظر وجهة النظر هذه إلى جمهور وسائل الإعلام على أنهم مكونون من كائنات سلبية يمكن التأثير عليهم تأثيرا مباشرا بواسطة وسائل الإعلام، فهم مجرد ذرات منفصلة من كتلة ملايين القراء والمستمعين ومشاهدي الأفلام،

وهم مهيؤون دائما لاستقبال الرسائل، وكل رسالة تشكل منبها قويا ومباشرا يدفع المتلقي إلى القيام بشيء معين يسعى القائم بالاتصال لتحقيقه، لذلك كانت المشكلة الأساسية في العشرات الأولى من القرن العشرين ليست إثبات هل لوسائل الإعلام تأثير من عدمه، ولكن كانت المشكلة تقرير ما إذا كان تأثير تلك الوسائل ضارا أم مفيد؟[14]

ـ المرحلة الثانية: تمتد هذه المرحلة من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الستينات، قام فيها الباحثون بإجراء سلسلة من الدراسات الميدانية من أجل اختبار فرضيات علمية جديدة شكلت بداية انطلاق الدراسات الميدانية في هذا المجال، حيث برزت فكرة التأثير المحدود لوسائل الإعلام على الجمهور، حيث بدأ الباحثون محاولاتهم من تجاوز الدراسات التأملية والانتقال بها إلى مستوى الدراسات النمطية، وذلك باعتماد وسائل وأدوات بحث منهجية حديثة، وقد كانت نقطة التحول في مجال الإعلام بعيدا عن الإيمان بقوة وسائل الإعلام الطاغية، ونموذج التأثير المباشر هو ما حدث خلال حملة انتخابات سنة 1940، وانتصار "روزفلت" بالرغم من عداء الصحافة له، لكن الأهم من ذلك نتائج الدراسة التي قام بها "لازارسفيلد "وزملاؤه عن السلوك الانتخابي وتقييم تأثير وسائل الإعلام على عملية التصويت في انتخابات الرئاسة، وقد كانت نتائج هذه الدراسة أساسا سلبية، فلم تكن هناك أدلة كافية تشير بإن الناس غيروا موقفهم السياسي نتيجة تأثير وسائل الإعلام.

كرست الدراسات الأولى من أجل تحديد أثر وسائل الإعلام (الصحف، الراديو) في المجال السياسي، وقد أخذت هذه الدراسات بعين الاعتبار عددا كبيرا من المتغيرات وذلك لتحديد آثار وسائل الإعلام المعنية على السلوك، وبينت هذه الدراسات من منطق البحث الميداني نسبة التأثير الذي تمارسه وسائل الإعلام، وهي بذلك استطاعت أن تدحض فكرة التأثير المطلق والمباشر لوسائل الإعلام وأن تأثير وسائل الإعلام لا يشكل إلا عنصرا واحدا من عناصر متعددة متكاملة لا يمكن عزل بعضها عن بعض، كالعوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والتي تلعب دورا هاما في التأثير على مواقف الأفراد وارائهم[15].

ـ المرحلة الثالثة: وتبدأ من ستينيات القرن العشرين إلى الآن، وتتميز بإعادة النظر فيطرح تأثير وسائل الاعلام على الجمهور، والنظر في طرح جديد متعلق بالتلفزيون طمحور أساسي في عملية صناعة الخيال [16] .

تعرف هذه المرحلة على أنها فترة التحولات الكبرى التي بدأ فيها الباحثون مرحلة الشك بمقولة التأثير النسبي والمحدود لوسائل الإعلام وخاصة فيما يتعلق بالتلفزيون الذي ظهر كوسيلة إعلامية قادرة ومؤثرة بدرجة كبيرة في حياة الناس الاجتماعية، وأصبح الوسيلة السائدة في المجتمعات الغربية وأثار انشغالا عاما حول تأثيراته المحتملة في الولايات المتحدة وبريطانيا أساسا، وبالتالي استحوذ على الجزء الأكبر من الدراسات، والمواضيع التي كانت تدرس هي السياسة، وكيف تغير وسائل الإعلام الاتجاهات نحو الأحزاب والقضايا والمترشحين وأثر هذه التأثيرات على الاتجاه والسلوك الانتخابي، ومشاهدة الأطفال للتلفزيون[17] .

## المحـور الثـالــث:

## ـ نظريات الإعـــــــــلام:

تعبر نظريات الإعلام (الصحافة ) عن الأسس الفلسفية والسياسية التي تقوم عليها ممارسة الإعلام في المجتمعات الغربية حيث نشأت وسائل الإعلام وتطورت، ودراسة هذه النظريات مهمة لكل دارس إعلام واتصال، لأنه بدونها يتعذر فهم الظاهرة الإعلامية في سياقاتها المختلفة، حيث تحاول نظريات الإعلام الإجابة على الأسئلة المتعلقة بتمايز النظم الإعلامية من مجتمع لآخر.

## 1ـ النظرية السلطوية:

تعتبر أولى وأقدم النظريات حيث يرتبط ظهورها بالحكم المطلق وبظهور وانتشار الطباعة في أوربا الغربية ابتداء من القرن 16 ، وقد كان النظام السياسي السلطوي قد حدد وظيفة وعلاقة الصحافة بنظام الحكم والمجتمع، تطبيق هذه النظرية لم يكن محصورا في القرنين 16 و17، بل شكلت هذه النظرية المذهب الأساسي لمجتمعات عديدة خلال تعاقب القرون، منا أن بعضا من مبادئها مازالت تميز عديد النظم الإعلامية، ولفهم الأسس الفلسفية للنظرية السلطوية في الإعلام لابد من معرفة المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة السلطوية، وهي كالآتي:

1ـ طبيعة الدولة: وهي (في غياب القوانين والضوابط السياسية) محل جميع الصفات الحميدة والوسيلة الوحيدة التي يمكن للفرد من خلالها تحقيق ذاته، وهي التي تحدد الغايات مرتكزة على التوجيه الإلهي أو العقل الأسمى للقادة.

2ـ طبيعة الإنسان والمجتمع: حسبها لا يستطيع الإنسان أن يحقق أهدافه أو يستعمل قدراته إلا كعضو داخل مجتمع منظم، حيث تأخذ الجماعة أهمية اكبر من الفرد كما انه بدون الدولة يكون الفرد عاجزا اكتساب صفات الإنسان المتحضر.

3ـ الحقيقة والمعرفة:لا يمكن تحقيقها إلا بواسطة الدولة وليس كما يراها أو يتصورها الأفراد، والمعرفة التي يتم التوصل إليها بهذه الطريقة تكتسب هالة مطلقة وبالتالي يصبح التغيير غير مرغوب فيه والاستمرار فضيلة في حد ذاتها.

ـ أنماط الرقابة في النظام السلطوي:

يقصد بمفهوم الرقابة ضرورة حصول مواد النشر أو التوزيع العام على رخصة مسبقة، كما يشمل العقاب على نشر مواد غير مرخصة، جميع أنواع الرقابة المفروضة على وسائل الإعلام تدخل في سياق ضمان وخدمة مصالح الدولة وعدم معارضتها حيث كانت جميع الدول الأوربية في ذلك الوقت نشيطة في وضع قيود صارمة ورقابة فعالة على أجهزة الإعلام، وابتكرت لها أساليب عدة متفاوتة الفعالية والصرامة، إلا أن نجاحها لم يكن مطلقا بل كان متفاوتا في الدرجة والامتداد الزمني بسبب الصراعات والمقاومة التي تصدت لها، كما لا يمكن الجزم بأن أسلوبا معينا من الرقابة كان ناجحا على امتداد مرحلة زمنية محددة، وهذه أهم أنماط الرقابة التي كانت ممارسة على الصحافة:

**1- نظام الامتياز:**

يعتبر من الأساليب المبكرة التي تمنح الدولة بمقتضاه حقا مطلقا في النشر لأفراد يتم اختيارهم حسب ثقة السلطة فيهم، حيث يمنح حق إصدار الجرائد لأفراد معينين مقابل نشر الأخبار التي تخدم سياسية الدولة، كان أكثر النظم نجاحا حيث توج بإنشاء جمعيات أصحاب الامتياز التي يتولى أصحابها مراقبة النشر بأنفسهم للمحافظة على امتيازهم الاحتكاري.

**2- نظام الترخيص الرسمي:**

يقتضي أن يقدم الناشرون أعمالهم في مجالات محددة كالسياسة والدين إلى ممثلي الدولة للاطلاع عليها مسبقا، إلا انه مع أواخر القرن 17 وبعد انتشار وتطور الطباعة أصبح من الصعب مراقبة الكميات الكبيرة من المادة المنشورة، كما أصبح الناشرون متذمرون بسبب التأخر والتقلبات الناتجة عن نظام المراقبة، وهكذا كان لابد من إلغاء نظام الترخيص الرسمي والبحث عن أساليب أخرى للحد من حرية الصحافة.

**3- المحاكمة:**

يتمثل في مثول الأفراد أمام المحاكم كلما اعتقدت السلطة أنهم انتهكوا قواعد السلوك المتعارف عليها في مجال النشر، حيث شكل مجالان تقليديان للقانون ( الخيانة والتحريض) الأساس في محاكمة الأشخاص المتهمين بنشر معلومات أو أفكار معادية للسلطة، كانت عقوبة الخيانة هي الموت بالشنق، لكن مع بداية القرن 18 أصبح نظام الرقابة عن طريق المحاكم غير صالح.

**4- الشراء السري للصحف:**

أو مساعدتها بأموال الدولة حتى تسكتها، كما لجأت الى استئجار أقلام الصحفيين السياسيين.

**5- الضريبة:**

هي الوسيلة غير المباشرة التي كانت شائعة خلال القرنين 18و 19، والتي كانت تهدف إلى الحد من توزيع وأرباح المادة المنشورة لتخفيض أرباحها وبالتالي الخروج من سوق النشر[18].

## 2- النظرية الليبرالية:

انتقال النظام السياسي من مرحلة السلطوية إلى المرحلة الليبرالية لم يحدث طفرة واحدة في كل من إنجلترا وأمريكا الشمالية بصفة خاصة وأوروبا الغربية بصفة عامة، وإنما تم هذا الانتقال عبر عدة قرون تخللتها صراعات من اجل انتزاع الحق في الحرية بصفة عامة والحق في حرية التعبير والصحافة بصفة خاصة، ولعبت التغييرات الجذرية في هذه المجتمعات دور العوامل الأساسية في أحداث هذا الانتقال وأهمها الكشوفات الجغرافية والابتكارات العلمية وكذلك الإصلاح الديني البروتستانتي الذي زعزع سلطة الكنيسة وسمح بتشجيع التمييز العقلي والعقلانية، ثم نشوء الطبقة الوسطى التي استلزمت ضرورة مصالحها وضح حد للنزاعات الدينية وفرض قيود على السلطة الملكية وامتيازات النبلاء، وبالتالي أصبح التعاقد الحر هو أساس النظام الاقتصادي ولم يسمح لا للدولة ولا للكنيسة بالتدخل في شؤون مجتمع منهك في إشباع حاجيات أفراده.

هكذا أدت هذه العوامل مجتمعة أو ما يسمى بعصر التنوير إلى تقويض أركان السلطوية وقبول وانتشار المبادئ الليبرالية التي أصبح هدفها الأساسي هو تحرير الإنسان من القيود الخارجية واعتماده على طاقته واستعمال عقله من اجل حل المشاكل السياسية والدينية والاجتماعية.

ـ المبادئ الفلسفية الأساسية:

1ـ طبيعة المجتمع والدولة: يرى الليبراليون أن الوظيفة الرئيسية للمجتمع هي خدمة مصالح الفرد، وينطلقون من منطلق العقد الاجتماعي فهم يقبلون ان الدولة مفيدة وأداة ضرورية إلا أنهم ينفون كون الدولة هي اسمي تعبير للمسعى الإنساني، ليس لها الحق في تقييد الحريات وإنما اعمل على توفير البيئة الملائمة للإنسان لاستغلال قدراته وإذا ما فشلت في تحقيق هذه الغاية فإنها تتحول إلى عائق ينبغي إزالته أو تعديل الدولة تعديلا جذريا.

2ـ طبيعة الإنسان: يعتبر المذهب الليبرالي الإنسان غاية في حد ذاته وسعادته ورفاهيته هي هدف المجتمع، فهو مخلوق يسيره العقل وبإمكانه أن يستعمل عقله لكي يكتشف قوانين الطبيعة ويتخذ قراراته بما يخدم مصالحه كما يجعل مؤسساته تتماشى مع قوانين الطبيعة وبالتالي يبني مجتمعا عادلا، يبقى الإنسان الوحدة الأساسية للحضارة ومحركها الأول ويصبح تحقيق متطلبات الإنسان الهدف النهائي (هدف الإنسان والمجتمع والدولة.

3ـ الحقيقة والمعرفة: العقل هو الوسيلة الوحيدة القادرة على تقديم تفسيرات مقنعة، والحقيقة ليست حكرا على القلة الحاكمة بل هي قابلة للاكتشاف والإثبات من طرف كل الناس العقلاء.

ـ الفلسفة الليبرالية ووظيفة الصحافة:

تتجلى مساهمة هذه الفلسفة في الصحافة من خلال توكيدها على مفهوم الحقوق الطبيعية للإنسان التي تعتبر حرية التعبير والصحافة جزء لا يتجزأ منها، ان أهمية ومرتبة الصحافة في المجتمع الليبرالي يمكن تحديدها من خلال عنصرين وهما:
1ـ الملكية: يعتقدون انه على الحكومة أن تعطي الحرية الكاملة لآي فرد في أن يمتلك ويسير أي وحدة إعلامية يريد.

2ـ الرقابة: كلما كان تدخل الدولة في عملية الاتصال قليلا كما كان أحسن، وتبقى الرقابة بيد الجهاز القضائي.

تتمثل وظيفة الصحافة في المجتمعات الليبرالية في أربع وظائف أساسية، الوظيفة السياسية، والإعلامية، والتربوية الثقافية، والوظيفة الاقتصادية.

على الرغم من أن مبادئ المذهب الليبرالي قد انتشرت في العالم على نطاق واسع، وما زالت تشكل دليلا للمؤسسات الإعلامية في العديد من البلدان التي تعتنق هذا المذهب، إلا انه توجد العديد من الانتقادات التي وجهت إلى المذهب الليبرالي للصحافة، أهمها انه لم يحدث في التاريخ إن تطابقت مبادئه مع الواقع، ففيما يخص حرية التعبير نجد أن بعض الناس لهم قدرات أعلى للتعبير من البعض الأخر، والبعض تحدوه المصلحة المباشرة، أما ملكية وسائل الإعلام كحق طبيعي فهو في الواقع ضرب من الخيال ولا ينطبق على جميع الناس لعدم تكافؤ الإمكانيات المادية، وهو ما أدى إلى ظهور احتكار وسائل الاتصال بيد فئة قليلة، وفي غالب الأحيان تعبر عن مصالحها وإيديولوجيتها أكثر مما تعبر عن المصلحة العامة، وتقدير مبدئي السوق والربح لا يؤدي بالضرورة إلى خدمة وإشباع حاجات الجمهور بل على

العكس من ذلك فان مضامين الصحافة وتحت وطأة السعي وراء تحقيق أقصى ربح اتجهت إلى الانحطاط وأصبحت المطبوعات الرديئة تطرد الجيدة من السوق، وبخصوص الاعتماد المفرط على الإعلان في تمويل الصحافة أدى ذلك إلى تدخل أصحاب الإعلان في سياسات المؤسسات الإعلامية والتأثير عليها وبالتالي خنق روح النقد [19].

## 3- نظرية المسؤولية الاجتماعية:

يرجع الأصل في صياغة هذه النظرية إلى إنشاء لجنة حرية الصحافة بالولايات المتحدة وإصدار توصياتها بشأن مسؤولية الصحافة سنة1947 كما ساهم في بلورة النظرية أفكار وتقارير اللجنة الملكية للصحافة بالمملكة المتحدة، وكذا إنشاء مجالس الصحافة المهنية ومواثيق وقوانين خاصة بتوطيد مسؤولية وسائل الاتصال بالبلدين، كان قد سبق هذا الميثاق أصوات متعددة تنتقد الممارسات العملية للصحافة وتعبر عن ارتيابها في مدى صلاحية النظرية الليبرالية على اثر التطورات التي حدثت على مستوى السوق الرأسمالية وتكنولوجية الاتصال والحياة الفكرية بصفة عامة، عوامل ظهور النظرية متعددة ومتفاوتة الأهمية والتزامن إلا أن تفاعلها وترابطها أديا إلى صياغتها، واهم هذه العوامل:

1- الثورة الصناعية والتطورات التكنولوجية وما صاحبها من تحولات اجتماعية وأثار متعددة الجوانب على الصحافة، حيث زاد من حجم وسرعة وفاعلية وسائل الاتصال القديمة وأدى إلى ظهور وسائل اتصال جديدة كالسينما والإذاعة والتلفزة.

كما صاحب عملية التصنيع نمو في حجم الإشهار الذي أصبح الدعم الأساسي في تمويل الصحف والإذاعة، وواكب هذه العملية أيضا التحضر السريع الذي ساعد بدوره على التوزيع الواسع للصحف، وأدى انتشار التعليم إلى إحداث توسع هائل في سوق المنتجات الإعلامية.

تميزت مرحلة القرن العشرين بحدوث تحولات في البنية الاقتصادية للبلدان الرأسمالية حيث أصبحت تدريجيا ملكية وسائل الإنتاج اقل انتشارا وأكثر تركيزا بيد عدد قليل نسبيا من الشركات، وأصبحت وحدات الاتصال ضخمة ومكلفة للغاية وبدرجة لم يعد فيها ممكنا للمستثمرين الجدد الدخول إلى مجال صناعة الاتصال، وأصبحت المبادئ الليبرالية لا تتطابق وواقع تلك المرحلة وأصبح ضرورة قصوى إعادة النظر فيها.

2- ظهور نوع صحفي جديد والحس بالروح المهنية، هذا بسبب عاملين مهمين، العامل التكنولوجي - التجاري ، والعامل الأيديولوجي.

3- انتقاد الصحافة، بعد أن بلغت الصحافة درجة عالية من التطور والتوسع كان لابد أن تلفت إليها الأنظار وتتعرض إلى انتقادات من قبل فئات اجتماعية ذات اتجاهات فكرية متباينة خاصة بعد ازدياد الشعور بالدور الخطير الذي تؤديه في تشكيل وصياغة الرأي العام، إلا أن الانتقادات زادت حدتها خلال القرن العشرين، وأهمها:

- نزعت الصحافة إلى استعمال سلطتها القوية إلى خدمة مصالحها ونشر الآراء الذاتية لمالكيها في مجال السياسة والاقتصاد على حساب أراء المعارضة.

- خضوع الصحافة لأصحاب الإشهار من خلال تدخلهم في سياسة التحرير.

- وقوف الصحافة ضد التغير الاجتماعي من خلال محافظتها على الوضع الراهن وعدم السماح للأفكار التي تريد التغيير بالتعبير.

- أعطت الصحافة أهمية لما هو مثير وسطحي، أكثر من اهتمامها بتغطية الأحداث.

ـ تهديد الصحافة للأخلاق العامة من خلال ما تنشره أو تبثه من صور ومحتويات تتنافى وأخلاق المجتمع، خاصة السينما والتلفزيون .

ـ أصبحت الصحافة تغزو الحياة الشخصية للمواطن من خلال ما تنشره من فضائح عنهم

ـ أصبح يراقب وسائل الأعلام طبقة سوسيوـ اقتصادية واحدة، وهي أصحاب المشروعات الخاصة، ولم يعد من السهل الدخول إلى هذه الصناعة بسبب التكاليف الباهظة للمشاريع.

هكذا أصبحت فكرة سوق حرة للأفكار وهي إحدى الدعائم الأساسية للنظرية الليبرالية مهددة، مما استدعى التفكير في مسألة مسؤولية وسائل الإعلام تجاه المجتمع.

ترتكز هذه النظرية على فكرة مؤداها أن الحرية بصفة عامة وحرية وسائل الاتصال بصفة خاصة لا يمكن ممارستها بمعزل عن الالتزامات حيال المجتمع، وان الصحافة لكي تقوم بتأدية بعض الوظائف ملزمة بتحمل مسؤوليتها أمام مجتمعها، كما انه بقدرة ما تكون وسائل الاتصال عاجزة أو تخل بمسؤوليتها يكون تدخل هيئات أخرى أمرا ضروريا، لحملها على تنفيذ الوظائف الأساسية المناطة بها.

تعطي نظرية المسؤولية الاجتماعية تصورا جديدا لطبيعة الإنسان والمجتمع والدولة والحقيقة والمعرفة، يختلف إلى حد كبير عن تصور النظرية الليبرالية التقليدية، فهي إذ تعترف بعقلانية الإنسان إلا أنها تعتقد انه كثيرا ما لا يستعمل عقلانيته بسبب عدم اكتراثه ونفوره مما يجعله طريدة سهلة بيد الديماغوجيين وأصحاب الإشهار والعلاقات العامة، وكل الذين يحاولون التأثير عليه من اجل تحقيق مصالحهم، وبتأكيد النظرية على مسؤولية وسائل الاتصال فهي تعطي أولوية أكثر للمجتمع على حساب الفرد، وبالتالي أصبحت المصلحة العامة تحتل المرتبة الأولى، وهكذا ابتعدت عن النزعة الفردية للنظرية الليبرالية.

أما الحكومة فلم يعد ينظر إليها كعدو تجب محاربة تدخلاته، بل ترى ان هناك مجالات عديدة بإمكان الحكومة التدخل فيها للمحافظة على الحرية والمواطن، كلما دعت الضرورة إلى ذلك، ويتم هذا عن طريق التشريع وسن القوانين وإنشاء المجالس.

كما تشكك النظرية في مسألة ظهور الحقيقة من خلال عمليتي التنافس في السوق الحرة للأفكار والتصحيح الذاتي إذ ترى انه في ظل النزعة الاحتكارية والاتجاه نحو التركيز والتعقيد في صناعة الاتصال أصبح من غير الممكن إقران حرية التعبير والنشر بحرية تملك وسائل الإعلام، بعد أن تركزت ملكيتها بيد اقليه قليلة من أصحاب الرساميل، الشيء الذي هدد حق الجمهور في المعرفة وإمكانية الوصول إلى وسائل الاتصال، وتقبل النظرية بوظائف وسائل الاتصال في المجتمع الحديث كما أقرتها النظرية الليبرالية مع بعض التحفظات.

قدمت هذه النظرية تصورا جديدا لما ينبغي أن تكون عليه وسائل الإعلام، ويتضح هذا التصور من خلال الوظائف التي حددتها للصحافة، وهي:

ـ حاملة أفكار عامة.ـ الحقيقة والمعنى في الأخبار.ـ صورة ممثلة عن المجتمع.ـ توضيح أهداف المجتمع.ـ معلومات كاملة عن الأحداث اليومية.

ـ على الصحافة أن تقوم بدور الخدمة العمومية وان تتحلى اكثر بالروح المهنية.

هذه المبادئ لا تشكل إطارا نظريا ذا حدود وخصائص متميزة عن غيره من الأطر النظرية، ولكنه تقليد لمبدأ الحرية الفردية بما لا يجعلها تصطدم مع الحاجات والمتطلبات الاجتماعية للمجتمع ككل، أو بمعنى اصح إدخال المشروع الفردي تحت مظلة المشروع المجتمعي دون أن تتعارض أو تتصارع مصالح الفرد مع المجتمع أو العكس[20].

**الهوامش:**

1 ـ عبد النبي عبد الله الطيب: فلسفة ونظريات الإعلام، ط 1، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، 2014، ص 68.

2ـ محمد منير حجاب: **الموسوعة الإعلامية**، ط1، دا الفجر للنشر والت زي ، مصر ،2003، مج 7

3ـ أنول باتشيرجي: بحوث العلوم الاجتماعية المبادئ والمناهج والممارسات، ترجمة: خالد بن ناصر آل حيان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص ص 75، 79 .

4ـ المرجع نفسه، ص 78 .

5ـبسام عبد الرحمن مشاقبة: **نظريات الإعلام**، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2010، ص80.

6ـ عبد النبي عبد الله الطيب: المرجع السابق، ص 68،

7ـ المرجع نفسه ، ص 69.

8 ـ احمد النكلاوي: نظرية علم الاجتماع (2002)، ط 1، ص 16-17.

9ـ احمد إبراهيم خضر: اعترافات علماء الاجتماع، عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع (1993)، المنتدى الإسلامي لندن، ص 111

10ـ إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس؛ ترجمة محمد حسين غلوم (1999)، عالم المعرفة عدد (244)، الكويت

11ـ فضة عباس بصلي، محمد الفاتح حمدي، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2017، ص 263

12ـ https://atharah.net/the-methodological-approach-what-is-it-and-how-do-we-apply-it/ تاريخ: 30.10.2024

13 - https://studies.aljazeera.net/ar/article/5413

14 ـ بومعيزة، السعيد: أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة غير منشورة في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية و الإعلام قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر، الجزائر ،2005/ 2006 ، ص ص

15 ـ أحمد رشتى، جيهان: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة،

16ـ نور الهدى عبادة، فاروق اهناني: تطور مقاربات وأبحاث جمهور وسائل الإعلام، مجلة مدارات سياسية، مج1، عدد 01، 2017، ص 187

17- بومعيزة، السعيد: مرجع سابق، ص 42.